الفصل الثاني

أخلاق النبي ﷺ

تمهيد:

كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقًا وأكرمهم وأتقاهم، قال ﷻ مادحًا وواصفًا خُلق نبيه الكريم ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وأحسنُ خَلقِ الله خُلقًا وخِلقةً ... وأنفعهم للناس عند النوائبِ

وأجودُ خلقِ الله صدرًا نائلًا ... وأبسطهم كفًّا على كل طالبِ

فعن أنس ﷺ قال: «**كان النبي ﷺ أحسَنَ الناسِ خُلُقًا**»(١).

وعن أم المؤمنين صفية بنت حيي -رضي الله عنها- قالت: «**ما رَأيتُ أحسَنَ خُلقًا من رسولِ الله ﷺ**»(٢).

وقالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لما سئلت عن خُلق النبي ﷺ، قالت: «**كَانَ خُلُقُهُ القُرْآن**»(٣).

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «المناقب» باب «صفة النبي ﷺ» حديث (٣٣٥٦)، ومسلم كتاب «الفضائل» باب «في صفة النبي وأنه كان أحسن الناس وجها» حديث (٢٣٣٧).

(2) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣٤٤) برقم (٦٥٧٨) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٥) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، إلا أن الربيع ابن أخي صفية بنت حيي لم أعرفه».

(3) أخرجه مسلم كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» باب «جامع صلاة الليل ومن نام عنها أو مرض» حديث (٧٤٦).

فهذه الكلمة العظيمة من أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ترشدنا إلى أن أخلاقه ﷺ هي اتباع القرآن، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونَوَاهٍ، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها، والبعد عن كل خلق ذمه القرآن.

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: «ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجيةً له وخلقًا... فمهما أمره القرآن فَعَله، ومهما نهاه عنه تَركه، هذا ما جبله الله عليه من الخُلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلقٍ جميل»[1].

عن عطاء رحمه الله قال: «**لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ -رضي الله عنهما- قلت: أَخْبِرْنِي عن صِفَةِ رسول الله ﷺ في التَّوْرَاةِ؟ قال: أَجَلْ والله! إنه لَمَوْصُوفٌ في التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ في الْقُرْآنِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أنت عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، ليس بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ، ولا سَخَّابٍ في الْأَسْوَاقِ، ولا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حتى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إلا الله، وَيَفْتَحُ بها أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا**»[2].

---

(1) راجع «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٠٣).

(2) أخرجه البخاري كتاب «البيوع» باب «كراهية السخب في السوق» حديث (٢٠١٨).

أخلاق النبي ﷺ مع أهله:

كان ﷺ خير الناس وخيرهم لأهله وخيرهم لأمته، من طيب كلامه وحُسن معاشرة زوجته بالإكرام والاحترام، قوله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وأنا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»(1).

وكان من كريم أخلاقه ﷺ في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يُحسن إليهم ويرأف بهم ويتلطف معهم ويتودد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم، وكان من شأنه ﷺ أن يرقق اسم عائشة -رضي الله عنها- كان يقول لها: (**يا عائش**)، ويقول لها: (**يا حميراء**)، ويُكرمها بأن يناديها باسم أبيها بأن يقول لها: (**يا ابنة الصديق**) وما ذلك إلا تودد وتقرب وتلطف إليها واحترام وتقدير.

وكان يعين أهله ويساعدهم في أمورهم ويكون في حاجتهم، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «**كنت أَغْتَسِلُ أنا وَرَسُولُ الله ﷺ من إِنَاءٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَاحِدٍ فَيُبَادِرُنِي حتى أَقُولَ: دَعْ لِي دَعْ لِي، قالت: وَهُمَا جُنُبَانِ**»(2).

وكان يُسَرِّبُ إلى عائشة بناتِ الأنصار يلعبن معها. وكانت إذا هويت شيئًا لا محذورَ فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه، فوضع فمه في موضع

---

(1) أخرجه الترمذي كتاب «المناقب عن رسول الله ﷺ» باب «فضل أزواج النبي» حديث (٣٨٩٥)، وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث الثوري».

(2) أخرجه مسلم كتاب «الحيض» باب «القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر» حديث (٣٢١).

فمها وشرب، وكان إذا تعرقت عَرقًا وهو العَظْمُ الذي عليه لحم أخذه فوضع فمه موضع فمها، وكان يتكئ في حِجْرِها، ويقرأ القرآن ورأسه في حِجرِها، وربما كانت حائضًا، وكان يأمرها وهي حائض فَتَتَّزِرُ ثم يُباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وكان من لطفه وحسن خُلُقه مع أهله أنه يمكِّنها من اللعب (لأنها كانت صغيرة السن رضى الله عنها).

وعن الأسود ﷺ قال: سألت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ما كان النبي ﷺ يَصْنَعُ في بَيْتِهِ؟ قالت: «**كان يَكُونُ في مِهْنَةِ أَهْلِهِ -تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ- فإذا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إلى الصَّلَاةِ**»(1).

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها سُئِلَتْ: ما كان رسول الله ﷺ يَعْمَلُ في بَيْتِهِ؟ قالت: «**كان يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ ما يَعْمَلُ الرِّجَالُ في بُيُوتِهِمْ**»(2).

وقال ﷺ: «**أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ، دِينَارٌ يُنْفِقُهُ على عِيَالِهِ**»(3).

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «**خَرَجْتُ مع النبي ﷺ في**

---

(1) أخرجه البخاري كتاب «الجماعة والإمامة» باب «من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج» حديث (٦٤٤).

(2) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٢١) برقم (٢٤٩٤٧) وقال شعيب الأرناءوط في تعليقه على «المسند»: «حديث صحيح».

(3) أخرجه مسلم كتاب «الزكاة» باب «فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم» حديث (٩٩٤).

بَعْضِ أَسْفَارِهِ وأنا جَارِيَةٌ لم أَحْمِلِ اللَّحْمَ ولم أَبْدُنْ، فقال لِلنَّاسِ: تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قال لِي: تَعَالَيْ حتى أُسَابِقَكِ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي حتى إذا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ معه في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فقال لِلنَّاسِ: تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قال: تَعَالَيْ حتى أُسَابِقَكِ فَسَابَقْتُهُ فسبقني، فَجَعَلَ يَضْحَكُ: وهو يقول: هذه بِتِلْكَ!!»[1].

وقد روي: «أنه ﷺ وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفية -رضي الله عنها- رجلها حتى تركب على بعيرها»[2].

ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- ما روته عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «ما غِرْتُ على امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ ما غِرْتُ على خَدِيجَةَ، هَلَكَتْ قبل أَنْ يَتَزَوَّجَنِي؛ لِمَا كنتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَأَمَرَهُ الله أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ من قَصَبٍ، وَإِنْ كان لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي في خَلَائِلِهَا منها ما يَسَعُهُنَّ»[3].

فأين الأزواج حتى يتعلموا؟! وأين أصحاب حقوق النساء حتى لا يظلموا بجهلهم هذا النبي الخاتم ﷺ؟!

---

(1) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٢٦٤) برقم (٢٦٣٢٠) وقال شعيب الأرناءوط في تعليقه على «المسند»: «إسناده جيد ورجاله ثقات رجال الشيخين غير عمر بن أبي حفص المعيطي».

(2) جزء من حديث أخرجه البخاري كتاب «البيوع» باب «هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها» حديث (٢١٢٠) بلفظ «.. ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا على رُكْبَتِهِ حتى تَرْكَبَ».

(3) أخرجه البخاري كتاب «فضائل الصحابة» باب «تزوج النبي خديجة وفضلها رضي الله عنها» حديث (٣٦٠٥).

أخلاق النبي ﷺ مع الأطفال:

فعن أنس ﷺ قال: «كان ﷺ يمُرُّ بالصِّبْيان فيسَلِّمُ عَليهم»[1].

وعن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: «إني لَأَقُومُ في الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فيها فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ في صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ على أُمِّهِ»[2].

وعنه أيضا أنه قال: «كان رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي وهو حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رسول الله ﷺ وَلِأَبِي الْعَاصِ بن الربيع بن عبد شَمْسٍ، فإذا سَجَدَ وَضَعَهَا، وإذا قام حَمَلَهَا»[3].

وعن أبي بُرَيْدَةَ يقول: «كان رسولُ الله ﷺ يَخْطُبُنَا إِذْ جاء الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهما السلام، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رسولُ الله ﷺ عن الْمِنْبَرِ، فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بين يَدَيْهِ، ثُمَّ قال: صَدَقَ الله ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] فَنَظَرْتُ إلى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فلم أَصْبِرْ حتى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»[4].

أخلاق النبي ﷺ مع الخدم:

ومع هذه الشجاعة العظيمة كان لطيفًا رحيمًا، فلم يكن فاحشًا ولا متفحشا، ولا سخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يدفع بالتي هي أحسن ويعفو ويصفح.

---

(1) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٤٤٥).

(2) أخرجه البخاري كتاب «الجماعة والإمامة» باب «من أخف الصلاة عند بكاء الصبي» حديث (٦٧٥).

(3) أخرجه البخاري كتاب «الصلاة» باب «إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة» حديث (٤٩٤).

(4) أخرجه الترمذي كتاب «المناقب» باب «مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما» حديث (٣٧٧٤)، وقال: «هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد».

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «خَدَمْتُ النبي ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فما قال لي: أُفٍّ ولا لِمَ صَنَعْتَ، ولا أَلا صَنَعْتَ»(١).

وعن أم المؤمنين عائشة زَوْجِ النبي ﷺ أنها قالت: «ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أَمْرَيْنِ إلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا ما لم يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كان إِثْمًا كان أَبْعَدَ الناس منه، وما انْتَقَمَ رسولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ إلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله ﷻ»(٢).

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «ما ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شيئًا قَطُّ بيده، ولا امْرَأَةً، ولا خَادِمًا إلا أَنْ يُجَاهِدَ في سَبِيلِ الله»(٣).

رحمة النبي ﷺ:

قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومن رحمته بالمؤمنين قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ المُسْلِمِين سَبَبْتُه أَوْ لَعَنْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَه زَكَاةً وأجرًا»(٤).

---

(1) أخرجه البخاري كتاب «الأدب» باب «حسن الخلق والسخاء وما يكون من البخل» حديث (٥٦٩١).

(2) أخرجه مسلم كتاب «الفضائل» باب «مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله» حديث (٢٣٢٧).

(3) أخرجه مسلم كتاب «الفضائل» باب «مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله» حديث (٢٣٢٨).

(4) أخرجه مسلم كتاب «الإمارة» باب «فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية» =

كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمرِ أُمَّتي شَيئًا، فشَقَّ عليهم؛ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَن وَلِيَ مِن أَمرِ أُمَّتي شَيئًا، فَرفَقَ بهم؛ فَارْفُقْ به»[1].

وقال ﷺ: «هَل تُرزَقون وتُنْصَرون إلا بضُعفائِكم؟!»[2].

وأمرنا بالرحمة فقال ﷺ في فضل الرحمة: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا من في الأرض يَرْحَمْكُمْ من في السَّمَاءِ»[3].

وقال ﷺ في أهل الجنة الذين أخبر عنهم بقوله ﷺ: «أَهْلُ الْـجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ...» وذكر منهم «... وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ»[4].

وعندما قيل له: ادع على المشركين قال ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[5].

حديث (١٨٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(1) أخرجه مسلم كتاب «الإمارة» باب «فضيلة الإمام العدل وعقوبة الجائر» حديث (١٨٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(2) أخرجه البخاري كتاب «الجهاد والسير» باب «من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب» حديث (٢٧٣٩) بلفظ «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».

(3) أخرجه الترمذي كتاب «البر والصلة» باب «ما جاء في رحمة المسلمين» حديث (١٩٢٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(4) أخرجه مسلم كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب «الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار» حديث (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار ﷺ.

(5) أخرجه مسلم كتاب «البر والصلة والآداب» باب «النهي عن لعن الدواب وغيرها» حديث (٢٥٩٩).

عفو النبي ﷺ:

عن أنس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ من أَحْسَنِ الناس خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فقلت: والله! لَا أَذْهَبُ وفي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ الله ﷺ فَخَرَجْتُ حتى أَمُرَّ على صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ في السُّوقِ فإذا رسول الله ﷺ قد قَبَضَ بِقَفَايَ من وَرَائِي، قال: فَنَظَرْتُ إليه وهو يَضْحَكُ فقال: يا أُنَيْسُ! أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟ قال: قلت: نعم، أنا أَذْهَبُ يا رَسُولَ الله»(1).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ في الْمَسْجِدِ مع رسول الله ﷺ إِذْ جاء أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ في الْمَسْجِدِ، فقال أَصْحَابُ رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ! قال: قال رسولُ الله ﷺ: لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ. فَتَرَكُوهُ حتى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَعَاهُ فقال له: إِنَّ هذه الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ من هذا الْبَوْلِ، ولا الْقَذَرِ، إنما هِيَ لِذِكْرِ الله ﷻ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. أو كما قال رسولُ الله ﷺ: قال: فَأَمَرَ رَجُلًا من الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ من مَاءٍ فَشَنَّهُ عليه»(2).

تواضع النبي ﷺ:

كان ﷺ خير المتواضعين وهو أعز خلق الله أجمعين فكان يجيب دعوتهم، دعوة

---

(1) أخرجه مسلم كتاب «الفضائل» باب «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا» حديث (٢٣١٠).

(2) أخرجه مسلم كتاب «الطهارة» باب «وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد» حديث (٢٨٥).

الحر والعبد والغني والفقير، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر.

وكان النبي ﷺ سيد المتواضعين، يتخلق ويتمثل بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

فكان أبعد الناس عن الكبر، كيف لا وهو الذي يقول ﷺ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»(١).

كيف لا وهو الذي كان يقول ﷺ: «آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»(٢)، ولما لا وهو القائل ﷺ: «لو دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أو كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أو كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»(٣).

ولما لا وهو الذي كان ﷺ يحذر من الكبر غاية التحذير فقال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»(٤).

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير، ويقبل الهدية.

وروي أن أنس بن مالك ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يدعى إلى خبز الشعير

---

(1) أخرجه البخاري كتاب «أحاديث الأنبياء» باب «قول الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾» حديث (٣٤٤٥).

(2) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٨/ ٣١٨) برقم (٤٩٢٠) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٩) وقال: «رواه أبو يعلى وإسناده حسن».

(3) أخرجه البخاري كتاب «الهبة وفضلها» باب «القليل من الهبة» حديث (٢٤٢٩).

(4) أخرجه مسلم كتاب «الإيمان» باب «تحريم الكبر وبيانه» حديث (١٩).

والإهالة السنخة[1] فيجيب»[2].

أمانة النبي ﷺ:

لقد لقبه أهل قريش قبل بعثه بالصادق الأمين ﷺ كما جاء في كتب السير وكان من أهم أسباب اختيار السيدة خديجة -رضي الله عنها- النبي ﷺ زوجًا لها صدقهُ وأمانتهُ، وكان رغم مخالفة كبراء قريش له في دينه إلا أنهم كانوا ما زالوا بعد بعثتهِ يحفظون عندهُ الأمانات.

كما قال الشاعر:

لقبتموهُ أمين القومِ في صغرٍ وما الأمينُ على قولٍ بمتَّهم

ويشهد لذلك المستشرق **موير** الإنجليزي في كتابه «**تاريخ محمد**» والذي قال فيه: «إن محمدًا نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمدًا أسمى من أن ينتهي إليه الوصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد، ذاك التاريخ الذي ترك محمدًا في طليعة الرسل ومفكري العالم»[3].

عدل النبي ﷺ:

كان عدله ﷺ وإقامته شرع الله ﷻ ولو على أقرب الأقربين.

---

(1) أي: الدهن الجامد المتغير الريح من طول المكث.

(2) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (١/ ٢٧٣-٢٧٤) برقم (٣٣٤).

(3) المستشرق موير الإنجليزي كتابه: «تاريخ محمد» نقلًا عن عبد الرحيم شريف «دراسة عن أقوال المستشرقين في حق سيدنا محمد ﷺ» نقلًا عن «ملف وورد على الشبكة العنكبوتية».

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

كان يعدل بين نسائه ﷺ ويتحمل ما قد يقع من بعضهن من غيرةٍ كما كانت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- تَغَارُ على النبي ﷺ.

فعن أنس رضي الله عنه: «كان النبيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فيها طَعَامٌ فَضَرَبَت التي النبيُّ ﷺ في بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَت الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ فَجَمَعَ النبيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فيها الطَّعَامَ الذي كان في الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حتى أتى بِصَحْفَةٍ من عِنْدِ التي هو في بَيْتِهَا فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ في بَيْتِ التي كَسَرَتْ»[1].

وقال ﷺ في قصة المرأة المخزومية التي سرقت وتشفَّع في أمرها أسامة بن زيد رضي الله عنه فقال له النبيُّ ﷺ: «أَتَشْفَعُ في حَدٍّ من حُدُودِ؟! الله ثُمَّ قام فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قال: إنما أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عليه الْحَدَّ، وأيم الله! لو أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[2].

---

(1) أخرجه البخاري كتاب «النكاح» باب «الغيرة» حديث (٤٩٢٧).

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «الأنبياء» «حديث الغار» حديث (٣٢٨٨)، ومسلم كتاب «الحدود» باب «قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود» حديث (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

كلام النبي ﷺ:

قال الله ﷻ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾[النجم: ١-٤].

وكان النبي ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وكان من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، ونصاعة لفظ وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي، لذلك كان يقول ﷺ لعبد الله بن عمرو: «**اكْتُبْ فوالذي نفسي بيده! ما خَرَجَ مني إلا حَقٌّ**»(١).

يقول رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُوتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي**»(٢).

وكان كلامه ﷺ بَيِّن فَصْل ظاهر، يحفظه من جَلَس إليه، وقد ورد في الحديث الصحيح: «**كان يُحَدِّث حديثًا لو عَدَّه العادُّ لأحصاه**»(٣).

---

(1) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٢) برقم (٦٥١٠) وقال شعيب الأرناءوط: في تعليقه على «المسند» «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الوليد بن عبد الله».

(2) أخرجه البخاري كتاب «الجهاد والسير» باب «قول النبي ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر» حديث (٢٨١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(3) متفق عليه أخرجه البخاري كتاب «المناقب» باب «صفة النبي ﷺ» حديث (٣٣٧٤)، ومسلم كتاب «الزهد والرقائق» باب «التثبيت في الحديث وحكم كتابة العلم» حديث (٢٤٩٣).

عن أَنَسٍ ﷺ عن النبي ﷺ «أَنَّهُ كان إذا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا، وإذا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا»[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «كان النبيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً من الْعَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، فإذا رَأَى شيئا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ في وَجْهِهِ»[2].

مجلس النبي ﷺ:

أكرم المجالس مجلس العلم والذكر، فما بالك إذا توسط المجلس إمام الأمة وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم، كان من صفاء مجلسه ونقاء سريرته أن يرد المخطئ، ويصوِّب الجاهل، وينبه الغافل، ولا يقبل في مجلسه إلا الخير، وكان ﷺ مستمعًا منصتًا لمحدِّثه إلا أنه لا يقبل غيبة، ولا يرضى بنميمة، ولا بهتان فهو يرد عن أعراض الآخرين، ولا يقبل في مجلسه ما يخالف الشرع.

قال الحسن بن علي ﷺ: سألت أبي عن مجلس النبي ﷺ كيف كان؟ فقال: «كان رسولُ الله ﷺ لا يَجْلِسُ وَلا يَقُومُ إِلا على ذِكْرِ الله، لا يُوَطِّنُ الأَمَاكِنَ وينهى عن إِيطَانِهَا[3]، وإذا انْتَهَى إلى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بنصِيبِهِ، لا يَحْسِبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عليه منه، مَن جَالَسَهُ أو قَاوَمَهُ[4] في حَاجَةٍ صابرة حتى يَكُونَ هو الْمُنْصَرِفُ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لم

(1) أخرجه البخاري كتاب «العلم» باب «من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه» حديث (٩٤).

(2) أخرجه البخاري كتاب «الأدب» باب «من لم يواجه الناس بالعتاب» حديث (٥٧٥١).

(3) اختصاص كل واحد بمجلس معيّن في المسجد أو غيره.

(4) وقف معه قائمًا.

يَرُدَّهُ إِلا بها أو بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ، قد وَسِعَ الناس منه بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ فَصَارَ لهم أَبًا، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ، لا تُرْفَعُ فيه الأَصْوَاتُ، وَلا تُؤْبَنُ[1] فيه الْحُرَمُ، وَلا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ[2]، مُتَعَادِلِينَ يَتَفَاضَلُونَ فيه بِالتَّقْوَى، مُتَوَاضِعِينَ يُوَقِّرُونَ الْكَبِيرَ، ويَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ، وَيُؤْثِرُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ، ويَحْفَظُونَ الْغَرِيبَ»[3].

كان يجلِس على الأرض، وعلى الحصير، والبِساط، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ من يَدِهِ حتى يَكُونَ الرَّجُلُ الذي يَنْزِعُ، ولا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عن وَجْهِهِ حتى يَكُونَ الرَّجُلُ هو الذي يَصْرِفُهُ، ولم يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بين يَدَيْ جَلِيسٍ له»[4].

وعن أبي أُمَامَةَ الباهلي ﷺ قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رسولُ الله ﷺ وهو يَتَوَكَّأُ على عَصًا، فلما رَأَيْنَاهُ قُمْنَا إليه فقال: لا تَفْعَلُوا كما تَفْعَلُ الأَعَاجِمُ، يَقُومُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ»[5].

---

(1) لا تعاب.

(2) لا تشاع ولا تذاع زلات وهفوات أحَدٍ مِمّن في مجلسه.

(3) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٥٨) برقم (٤١٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٣٤١).

(4) أخرجه الترمذي كتاب «صفة القيامة والرقائق والورع» باب «٤٦» حديث (٢٤٩٠) وقال: «هذا حديث غريب».

(5) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٧٨) برقم (٨٠٧٢).

زهد النبي ﷺ:

كان ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة، خيَّرهُ الله ﷻ بين أن يكون ملكًا نبيًا أو يكون عبدًا نبيًا، فاختار أن يكون عبدًا نبيًا، وفي هذا ما ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- يحدث: أن الله -تبارك وتعالى- أرسل إلى نبيه ﷺ مَلَكًا من الملائكة ومعه جبريل عليه السلام فقال الملك: إن اللهَ يُخيِّرك بين أن تكون عبدًا نبيًّا وبين أن تكون مَلِكًا؛ فالتفت رسولُ الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير فأشار جبريل بيده أنْ تَواضع، فقال رسولُ الله ﷺ: «**بَلْ أَكُونُ عَبْدًا نَبِيًّا**» قال: فما أكل بعد تلك الكلمة طعامًا متَّكئًا[1].

وكان ﷺ ينامُ على الفراش تارة، وعلى النِّطع[2] تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة، وتارة بين رِمَالِهِ، وتارة على كِساء أسود.

وعن عروة رضي الله عنه، عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت له: «**والله! يا ابنَ أُخْتِي، إنْ كنَّا لَنَنْظُرُ إلى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وما أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رسول الله ﷺ نَارٌ! فقلت: يا خَالَةُ! ما كان يُعِيشُكُمْ؟ قالت: الْأَسْوَدَانِ، التَّمْرُ وَالْمَاءُ**»[3].

---

(1) أخرجه النسائي في «الكبرى» حديث (٦٧٤٣).

(2) أي: الخيمة راجع «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٢٣٠-٢٣١).

(3) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «الهبة وفضلها» باب «فضلها والتحريض عليها» حديث (٢٤٢٨)، ومسلم كتاب «الزهد والرقائق» بدون باب حديث (٢٩٧٢).

وفي «الصحيحين» من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال- في حديثٍ طويل: «فَقَصَصْتُ على رسولُ الله ﷺ هذا الحديث، فلما بَلَغْتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ تَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ، وَإِنَّهُ لعلى حَصِيرٍ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ من آدم حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُوبًا وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ في جَنْبِهِ، فَبَكَيْتُ، فقال: ما يُبْكِيكَ؟ فقلت: يا رَسُولَ الله، إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فيه، وَأَنْتَ رسول الله!! فقال: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لهم الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ»[1].

وكان من زهده ﷺ وقلة ما بيده: أن النار لا توقد في بيته ﷺ -على الطعام- في الثلاثة أهلة، كما تقدم من حديث عائشة رضي الله عنها.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «كان رسولُ الله ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وكان أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ»[2]

عبادة النبي ﷺ:

ونتحدث عن جانب العبودية في حياته ﷺ، كيف عاش عبدًا لله ﷻ، ما هي عبادته لله ﷻ، كيف كانت صلاته ﷺ لله ﷻ، كيف كان يصوم، وكيف كان ذكره لله ﷻ؟

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «التفسير» باب «تبتغي مرضات أزواجك» حديث (٤٦٢٩)، ومسلم كتاب «الطلاق» باب «في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن» حديث (١٤٧٩).

(2) أخرجه الترمذي كتاب «الزهد» باب «ما جاء في معيشة النبي ﷺ» حديث (٢٣٦٠)، وابن ماجه كتاب «الأطعمة» باب «الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع» حديث (٣٣٤٧)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

لقد مدحهُ الله ﷻ في القرآن بالعبودية في أشرف أحواله، فيقول عنه: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الإسراء: ١]، ويقول عنه: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[الجن: ١٩].

ويقول أيضا في مطلع «سورة الفرقان»: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان: ١].

ويأمره الله ﷻ بالعبودية قائلًا له: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، يعني الموت لا كما قال المنحرفون: (اعبد ربك حتى تتيقن بوحدانيته ثم اترك العبادة)، وقد كذبوا على الله، إنما المعنى: اعبد ربك في الشتاء والصيف، في الحِلِّ والتِّرحال، في الصحة والسقم، في الغنى والفقر حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ ﴾[المزمل: ١-٥].

أي: قم- يا محمد- لإصلاح الإنسان، قم لهداية البشرية، قم لهداية الإنسانية، فقام ﷺ ثلاثًا وعشرين سنة، ما نام ولا استراح، أعطى الإسلام دمه ودموعه، وأعطى الدعوة ماله وكيانه، وأعطى الإسلام ليله ونهاره، فما نام ولا فتر، ولا هدأ حتى أقام «لا إله إلا الله» في الأرض كلها.

صلاة النبي ﷺ:

كان يأتيه ﷺ الحزن والهم والغم، فيقول: «**قُمْ يا بِلالُ! فَأَرِحْنَا بِالصَّلاةِ**»[1]. تأتيه المصائب والكوارث فيقول: «**أرحنا بها يا بلال!**» تأتيه الفواجع والزلازل فيقول: «**أرحنا بها يا بلال!**» يموت أبناؤه وأحبابه وأصحابه، ويقتل جنوده، ويهزم جيشه، فيقول: «**أرحنا بها يا بلال!**».

يقول ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[2]، فما كان يرتاح إلا إذا قام يصلي، وإذا قال ﷺ: الله أكبر، كبر بصوت تكاد تنخلع لصوته القلوب، فيضع يده على صدره الشريف فيكون الله ﷻ أعظم من كل شيء لأنه الكبير ﷻ، فيقف متواضعًا متبتلًا متخشعًا متذللًا أمام الواحد الأحد.

ويقول حذيفة بن اليمان ﷺ: «**صَلَّيْتُ مع النبي ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فقلت: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى فقلتُ: يُصَلِّي بها في رَكْعَةٍ، فَمَضَى فقلتُ: يَرْكَعُ بها، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إذا مَرَّ بِآيَةٍ فيها تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وإذا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وإذا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يقولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا من قِيَامِهِ، ثُمَّ قال: سمع الله لِمَنْ**

---

(1) أخرجه أبو داود كتاب «الأدب» باب «في صلاة العتمة» حديث (٤٩٨٥) بلفظ «يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها» ، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٢٨٧) برقم (٢٣١٣٧) وقال شعيب الأرناءوط في تعليقه على «المسند»: «رجاله ثقات».

(2) أخرجه النسائي كتاب «عشرة النساء» باب «حب النساء» حديث (٣٩٤٠) وأحمد في «مسنده» (٣/ ٢٨٥) برقم (١٤٠٦٩)، وقال شعيب الأرناءوط في تعليقه على «المسند»: «إسناده حسن».

حَمِدَهُ، ثُمَّ قام طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فقال: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأعلى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا من قِيَامِهِ»[1].

لقد قارب النبيُّ ﷺ ست ساعات أو سبعًا مستمرًّا في صلاته مع الفقر والجوع، ومع الجهاد في النهار، ومع الزهد، ومع الدعوة إلى الله ﷻ، ومع تربية الأطفال، ومع العمل في شئون البيت، ست ساعات أو سبعَ ساعات وهو يتبتل إلى الله، تفطرت قدماه، وتشققت رجلاه ﷺ بأبي هو وأمي.

وبعد أن ينتهي من صلاته تقول له زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «لِمَ تَصْنَعُ هذا يا رَسُولَ الله؟ وقد غَفَرَ الله لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، قال: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟! فلما كَثُرَ لَحْمُهُ صلى جَالِسًا، فإذا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قام فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ»[2].

وروي أن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «صَلَّيْتُ مع النبي ﷺ لَيْلَةً، فلم يَزَلْ قَائِمًا، حتى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ، قُلْنَا: وما هَمَمْتَ؟ قال: هَمَمْتُ، أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النبي ﷺ»[3].

---

(1) أخرجه مسلم كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» باب «استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل» حديث (٧٧٢).

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «التفسير» باب «قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» حديث (٤٥٥٧)، ومسلم كتاب «صفة القيامة والجنة والنار» باب «إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة» حديث (٢٨٢٠).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «الجمعة» باب «طول القيام في صلاة الليل» حديث (١١٣٥)، ومسلم كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» باب «استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل» حديث (٧٧٣).

وكان يسجد ﷺ السجدة الواحدة مقدار ما يقرأ القارئ منا خمسين آية، ويركع ﷺ الركعة الواحدة مقدار ما يقرأ القارئ منا خمسين آية، هذا في صلاة الليل، يدعو ويبكي إلى الصباح، حتى تسقط بُرْدته من على كتفيه، كما في ليلة غزوة بدر، يناجي ربه، ويقرأ كتابه، ويتبتل إلى الله؛ لأن العبادة أقرب باب إلى الله ﷻ.

ونحن المسلمين اليوم نعيش في سعد ورغد، في عَيْشٍ رَضِيٍّ، في أمن وصحة، الموائد الشهية، القصور البهية، المراكب الوطية، ومع ذلك نترك صلاة الجماعة إلا من رحم الله، أيُّ أمة نحن؟! أيُّ قلوب نحملها إذا لم نقم بالصلوات الخمس، كما أرادها الله ﷻ؟!

فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: جاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال: يا رسولَ الله! لم تبكي وقد غَفر اللهُ لك ما تقدَّم وما تأخَّرَ؟! قال: «**أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝﴾**[آل عمران: ١٩١]»[1].

صيام النبي ﷺ:

كان ﷺ يصوم، فيواصل الليل بالنهار، ثلاثة أيام وأربعة أيام، لا يأكل شيئًا

(1) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢/ ٣٨٦) برقم (٦٢٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٨٨) برقم (١٤٦٨).

فأراد الصحابة ﷺ أن يواصلوا كما يواصل فقال لهم ﷺ: «لَا، إنكُم لَستُم كَهَيْئَتِي، إنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»[1]، لا يطعمه طعامًا، ولا يسقيه شرابًا، إنما يطعمه حكمًا ومعارف، وفتوحاتٍ ربانية وإلهامات إلهية.

لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الطعام وتُلهيها عن الزاد

لها بوجهك نور تستضيء به ... ومن حديثك في أعقابها حاد

وكان ﷺ يصوم في السفر وقد التهب الجو، قال أبو الدرداء ﷺ: «خَرَجْنَا مع النبي ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ في يَوْمٍ حَارٍّ حتى يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ على رَأْسِهِ من شِدَّةِ الْحَرِّ، وما فِينَا صَائِمٌ إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رَوَاحَةَ»[2].

قراءته ﷺ للقرآن:

كان رسول الله ﷺ يجلس مع الصحابة ﷺ، فقال لابن مسعود ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قلت: يا رسول الله، آقْرأ عليك وعليكَ أُنْزِلَ؟! قال: نعم، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ، حتى أَتَيْتُ إلى هذه الْآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، قال: حَسْبُكَ الْآنَ، فَالْتَفَتُّ إليه فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»[3]. يبكي تواضعًا لله ﷻ، وشفقة على هذه الأمة.

---

(1) أخرجه البخاري كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» باب «ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع» حديث (٦٨٦٩)، ومسلم كتاب «الصيام» باب «النهي عن الوصال في الصوم» حديث (١١٠٣).

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «الصوم» باب «إذا صام أياما من رمضان ثم سافر» حديث (١٨٤٣)، ومسلم كتاب «الصيام» باب «التخيير في الصوم والفطر في السفر» حديث (١١٢٢).

(3) أخرجه البخاري كتاب «فضائل القرءان» باب «قول المقرئ للقارئ: حسبك» حديث (٤٧٦٣).

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ الله ﷺ لَيْلَةً من الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي على بَطْنِ قَدَمَيْهِ وهو في الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وهو يقول: «**اللهم أَعُوذُ بِرِضَاكَ من سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ من عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أنت كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ**»[1].

متى يقدم الإنسان للقبر ما لم يقدم هذه الليالي، متى يصلي إذا لم يصل هذه الأيام، متى يذكر الله إذا لم يذكر في هذه الأوقات؟!

فإذا دفن الإنسان فلن يصلي عنه أحد، ولن يصوم عنه أحد، ولن يذكر عنه أحد.

أتيتُ القبورَ فنـاديتها ... أيـن المعظّم والمحتقر

تفـانوا جميعًـا فما مخبر ... ومـاتوا جميعًا وماتَ الخبر

تسير وتغدو بناتُ الثرى ... فتمحو محاسنَ تلك الصور

فلقد كان رسولُ الله ﷺ هو أعبد الخلق لله، وأشدهم له خشية، وقد غفَر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك أجهد نفسه في العبادة، في صلاة الليل، في الذكر، في تلاوة القرآن، في التسبيح والتهليل.

فتمسكوا- رحمكم الله- بهديه، وعضوا على سنته بالنواجذ، كما قال رسول الله ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»[2]

---

(1) أخرجه مسلم كتاب «الصلاة» باب «ما يقال في الركوع والسجود» حديث (٤٨٦).

(2) أخرجه الترمذي كتاب «العلم» باب «ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع» حديث (٢٦٧٦)، وابن ماجه =

لقد نُقل عن الصحابة والتابعين ﷺ: «أن المارَّ إذا مرَّ بهم ﷺ في السحر سمع لبيوتهم دويًّا كدوي النحل»، من البكاء وقراءة القرآن والدعاء، هذا في مدينة رسول الله ﷺ، دعاءٌ وبكاءٌ ومناجاةٌ وقت السحر، فما هو حالنا مع حالهم، كيف نعيش بالنسبة إليهم، إن تلك التلاوة، وذاك الدعاء، وهذا البكاء من خشية الله، أُبْدل في بيوتنا -إلا من رحم الله- بالغناء والموسيقى والعود والوتر.

إن القوي هو القوي في طاعة الله ﷻ، وإن المفلح هو السائر في طريق الله ﷻ، وإن المتقدم هو المتقدم إلى مرضات الله ﷻ، إذا علم هذا فإنه في جانب الذكر كان أكثر الناس ذكرًا لله ﷻ، نَفَسهُ ذِكرٌ لله، وفتواهُ ذِكرٌ لله، وخُطَبُه ذِكرٌ، وكلامهُ وليلهُ ونهارهُ وحركاتهُ وسكناتهُ ذكرٌ لله تبارك وتعالى.

وعن ابن عباس ﷺ قال: «**كان النبيُّ ﷺ إذا قام من اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قال: اللهم لك الْحَمْدُ أنتَ قَيِّمُ السماوات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لك مُلْكُ السماوات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أنت نُورُ السماوات وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أنت مَلِكُ السماوات وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أنت الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهم لك أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ**

في مقدمة «سننه» باب «اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهدين» حديث (٤٣)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٦) حديث (١٧١٨٤)، وقال شعيب الأرناءوط في تعليقه على «المسند»: «حديث صحيح».

تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، أنت المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إلا أنت»[1].

وسُئِلت عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كان نَبِيُّ الله ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إذا قام من اللَّيْلِ؟ قالت: كان إذا قام من اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: اللهم رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أنت تَحْكُمُ بين عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فيه من الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي من تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[2].

هل سمعتم بعد كلام الله ﷻ أحسن من هذا الكلام، ما أجمل وقت السحر، ساعة تناجي الله ﷻ، ساعة ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأجيبه؟

يقول **محمد إقبال** شاعر الإسلام: «يا رب! لا تحرمني أَنَّةَ السَّحَر، يا رب اجعلني من البكَّائين الخاشعين لك في السَّحر، يا رب! إذا حرمتني جلسة السَحر فإن قلبي يقسو، ولن يلينه شيء»[3].

فهذا هو الرسول ﷺ في عبادته، وفي صلاته وصيامه، وفي قراءته وذكره، وهو أسوتكم وقائدكم إلى الجنة، ونجاتكم مرهونة باتباعه، وعقدكم وسيركم إذا لم

---

(1) أخرجه البخاري كتاب «الكسوف» باب «التهجد بالليل» حديث (١٠٦٩) ومسلم كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» باب «الدعاء في صلاة الليل وقيامه» حديث (٧٦٩).

(2) أخرجه مسلم كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» باب «الدعاء في صلاة الليل وقيامه» حديث (٧٧٠).

(3) راجع هذا الموقع: http://forums.naseej.com/showthread.php?p=936478

يكن على سنته، فهو الهلاك والدمار، وهو العار والخسار، في الدنيا والآخرة قال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. فيا من أراد الجنة، يا من أراد النجاة، يا من أراد الفلاح، يا من أراد الخير والعدل والسلام! والله ليس لك قدوة، لا زعيم ولا رائد، ولا مصلحٌ، ولا إمامٌ، ولا عابدٌ، ولا منقذٌ، ولا معلِّم، إلا رسول الله ﷺ.

فصلُّوا وسلِّموا على من جَمَّلنا المجلس بذكرهِ ﷺ فقد أمركم بذلك رَبُّكم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

كان ﷺ أعبد الناس، ومن كريم أخلاقه ﷺ أنه كان عبدًا شكورًا لله. فإن من تمام كريم الأخلاق هو التأدب مع الله رب العالمين، وذلك بأن يعرف العبد حقَّ ربه ﷻ عليه فيسعى لتأدية ما أوجب الله ﷻ عليه من الفرائض، ثم يتمم ذلك بما يسر الله ﷻ له من النوافل، وكلما بلغ العبد درجةً مرتفعةً عاليةً في العلم والفضل والتقى عرف حق الله ﷻ عليه فسارع إلى تأديته والتقرب إليه ﷻ بالنوافل.

فقد قال رسول الله ﷺ عن رب العالمين في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه ﷻ: «**إن الله ﷻ قال: وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ...**»[1].

(1) أخرجه البخاري كتاب «الرقاق» باب «التواضع» حديث (٦١٣٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

فقد كان ﷺ يعرف حق ربه ﷻ عليه، وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، على الرغم من ذلك كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ﷺ، ويسجد فيدعو ويسبح ويثني على الله ﷻ ويخشع لله ﷻ حتى يُسمع لصدره أزيز كأزيز المِرجل.

فعن عبد الله بن الشِّخِّير ﷺ قال: «**رأيتُ رَسُولَ الله ﷺ وفي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ**»(1).

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا صلى قام حتى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قالت عَائِشَةُ: يا رَسُولَ الله! أَتَصْنَعُ هذا وقد غُفِرَ لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، فقال: «**يا عَائِشَةُ! أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!**»(2).

وكان من تمثله ﷺ للقرآن أنه يذكر الله ﷻ كثيرًا، قال ﷻ: ﴿ **وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال ﷻ: ﴿ **فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** ﴾ [البقرة: ١٥٢].

ومِنْ تخلُّقه ﷺ بأخلاق القرآن وآدابه تنفيذًا لأمر ربه ﷻ أنه كان يحب ذكر الله ويأمر به ويحث عليه، قال ﷺ: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله، ولا إِلَهَ إلا الله، وَالله أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ**»(3).

---

(1) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٦) برقم (١٦٣٦٩) والنسائي في «الكبرى» حديث (٥٤٤) وصححه الألباني في «المشكاة» (١/ ٢١٩) برقم (١٠٠٠).

(2) أخرجه مسلم كتاب «صفة القيامة والجنة والنار» باب «إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة» حديث (٢٨٢٠).

(3) أخرجه مسلم كتاب «الذكر والدعاء» باب «فضل التهليل والتسبيح» حديث (٢٦٩٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقال ﷺ: «مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»[1].

وقال ﷺ: «ما عَمِلَ آدميٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى له من عَذَابِ الله من ذِكْرِ الله»[2]

كان ﷺ أكثر الناس دعاءً، وكان من أكثر دعاء النبي ﷺ أن يقول: «اللهم رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»[3].

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنه كان أكثر دعاء النبي ﷺ قبل موته: «اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ ما عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ ما لم أَعْمَلْ»[4].

دعوة النبي ﷺ:

كانت دعوته ﷺ شاملة لجميع الخلق، وكان رسول الله محمد ﷺ أكثر رسل الله ﷻ دعوة وبلاغًا وجهادًا، لذا كان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً، منذ بزوغ فجر دعوته ﷺ إلى أن لحق بربه ﷻ.

---

(1) أخرجه البخاري كتاب «الدعوات» باب «فضل ذكر الله عز وجل» حديث (٦٠٤٤) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(2) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٣٩) برقم (٢٢١٣٢) من حديث معاذ بن جبل ﷺ، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٣) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش لم يدرك معاذا».

(3) أخرجه البخاري كتاب «التفسير» باب «ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» حديث (٤٢٥٠)، ومسلم كتاب «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» باب «فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» حديث (٢٦٩٠) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(4) أخرجه مسلم كتاب «الذكر والدعاء» باب «التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل» حديث (٢٧١٦).

وقد ذكر ابن القيم في كتاب «زاد المعاد» أن دعوة النبي ﷺ كانت على مراتب:

١ - النبوة.

٢ - إنذار عشيرته الأقربين.

٣ - إنذار قومه.

٤ - إنذار قومٍ ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة.

٥ - إنذارُ جميع مَنْ بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر.

وقد قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨].

وهذا أيضا من أخلاقه ﷺ، ومن أخلاق أهل العلم جميعا، أهل العلم والبصيرة أهل العلم والإيمان، أهل العلم والتقوى.

ومن ذلك شفقته بمن يخطئ أو من يخالف الحق وكان يُحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب، بألطف عبارة وأحسن إشارة، من ذلك لما جاءه فتى يستأذنه في الزنا. ماذا كان صنيعه معه؟!

يروي أبو أُمامة ﷺ قال: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عليه فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فقال: أدنه فَدَنَا منه قَرِيباً، قال: فَجَلَسَ، قال: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قال: لاَ والله! جعلني الله فداءك، قال: وَلاَ الناس يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ، قال: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قال: لاَ والله يا رَسُولَ الله! جعلني الله فداءك، قال: وَلاَ الناس يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قال: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قال: لاَ والله! جعلني الله فداءك، قال: وَلاَ الناس يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ، قال: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قال:

لاَ والله! جعلني الله فداءك، قال: وَلاَ الناس يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قال: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قال: لاَ والله! جعلني الله فداءك، قال: وَلاَ الناس يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ، قال: فَوَضَعَ يَدَهُ عليه، وقال: اللهم اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فلم يَكُنْ بَعْدُ ذلك الْفَتَى يَلْتَفِتُ إلى شيء»[1].

وقد انتهج النبي ﷺ ذلك في دعوته ولطيف أسلوبه للناس كلهم حتى شملت الكافرين، فكان من سبب ذلك أن أسلم ودخل في دين الله ﷻ أفواجٌ من الناس بالمعاملة الحسنة والأسلوب الأمثل، فكان يتمثل في ذلك ﷺ قول الله ﷻ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

إن النبي ﷺ كان إذا أُسيء إليه يدفع بالتي هي أحسن، يتمثل ويتخلق بقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

مزاح النبي ﷺ:

وكان من هديه ﷺ أن يمازح الصغير والعجوز، فقد سألته امرأة عجوز قالت: «يا رسول الله! ادع الله ﷻ أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي ﷺ: (يا أُم

---

(1) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٥٦) برقم (٢٢٢٦٥)، وقال شعيب الأرناءوط في تعليقه على «المسند»: «إسناده صحيح».

فلان! إن الجنة لا تدخلها عجوز)، فولَّت تبكي، فقال ﷺ: (أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز)، إن الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]»[1].

وكان جُلُّ ضَحِكه التبسم، بل كلُّه التبسم، فكان نهايةُ ضحكِه أن تبدوَ نواجِذُه ﷺ.

كرم النبي ﷺ:

إن كرمه ﷺ كان مضرب الأمثال، وقد كان ﷺ لا يرد سائلًا وهو واجد ما يعطيه، فقد سأله رجل حُلَّةً كان يلبسها، فدخل بيته فخلعها ثم خرج بها في يده وأعطاه إياها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ على الْإِسْلَامِ شيئًا إلا أَعْطَاهُ. قال: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بين جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إلى قَوْمِهِ فقال: يا قَوْمِ! أَسْلِمُوا فإن مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ**»[2].

وكان الرجل ليجيء إلى رسول الله ﷺ ما يريد إلا الدنيا فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه وأعز من الدنيا وما فيها، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما- لَمَّا سئل عن جُود الرسول وكرمه، فقال: «**كان رسولُ الله ﷺ أَجْوَدَ الناس وكان أَجْوَدُ ما يَكُونُ في رَمَضَانَ حين يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكان يَلْقَاهُ في كلِّ لَيْلَةٍ**

---

(1) أخرجه الترمذي في «الشمائل» باب «ما جاء في صفة مزاح رسول الله ﷺ» حديث (٢٤١).

(2) أخرجه مسلم كتاب «الفضائل» باب «ما سُئِلَ رسول الله ﷺ شيئًا قَطُّ فقال لَا، وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ» حديث (٢٣١٢).

من رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ من الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»[1].

بمعنى أن إعطاءه دائمًا لا ينقطع بيسر وسهولة، وها هي ذي أمثلة لجوده وكرمه ﷺ.

وحُمِلت إليه تسعون ألف درهم فوُضِعت على حصير، ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلًا حتى فرغ منها. وقد قال له ورقةُ بن نوفل **«إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ»**[2]. وردَّ على هوازن سباياها وكانت ستة آلاف. وأعطى العباس ﷺ من الذهب ما لم يطِق حَمْله، وعن أنس ﷺ قال: **«كان النبيُّ ﷺ لَا يَدَّخِرُ شيئًا لِغَدٍ»**[3].

والخبر بجوده ﷺ وكرمه كثير، فعن أبي هريرة ﷺ قال: **« أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ يَسْأَلُهُ، فَاسْتَسْلَفَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ شَطْرَ وَسْقٍ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ يَتَقَاضَاهُ فَأَعْطَاهُ وَسْقًا، وَقَالَ: نِصْفٌ لَكَ قَضَاءٌ، وَنِصْفٌ لَكَ تَائِلٌ مِنْ عِنْدِي»**[4].

ومن كرمه ﷺ ما رواه عبد الله بن بسر ﷺ قال: **«كان لِلنَّبِيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لها الْغَرَّاءُ يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، فلما أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضحى أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ -يَعْنِي وقد ثُرِدَ فيها- فَالْتَفُّوا عليها فلما كَثُرُوا جثا رسولُ الله ﷺ فقال**

---

(1) أخرجه البخاري كتاب «الصوم» باب «أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان» حديث (١٨٠٣).

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري في مقدمة «صحيحه» باب «بدء الوحي» حديث (٣) ، ومسلم كتاب «الإيمان» باب «بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ» حديث (١٦٠).

(3) أخرجه الترمذي كتاب «الزهد» باب «ما جاء في مَعِيشَةِ النبي ﷺ وَأَهْلِهِ» حديث (٢٣٦٢) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٢٦) برقم (٩٣٠).

(4) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣٥١) برقم (١٠٧٢٢).

أَعْرَابِيٌّ: ما هذه الجِلْسَةُ؟ قال النبي ﷺ: إِنَّ الله جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، ولم يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا، ثُمَّ قال رسولُ الله ﷺ: كُلُوا من حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فيها»[1] انتهى. وفيه دلالة على سعة كرم المصطفى ﷺ[2]. ومن كرمه ﷺ أنه جاءه رجل يطلب البردة التي هي عليه فأعطاه إياها.

صبر النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ يصبر على الأذى فيما يتعلق بحق نفسه، وأما إذا كان حرمة من حرمات الله تعالى فإنه يمتثل فيه أمر الله من الشدة.. وهذه الشدة مع الكفار والمنتهكين لحدود الله خير رادع لهم، وفيها تحقيق للأمن والأمان.

قال ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن صبر النبي ﷺ ما روته عائشة رضي الله عنها: أنه عندما اشتد الأذى به جاءه ملك الجبال يقول: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[3]، فقال النبي ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا»[4].

---

(1) أخرجه أبوداود كتاب «الأطعمة» باب «ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة» حديث (٣٧٧٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ ٧٤٩) برقم (٣٩٣).

(2) راجع «الشمائل الشريفة» للسيوطي (١/ ٢٣١-٢٣٢).

(3) الأخشبان: جبلا مكة، أبو قبيس وقعيقعان.

(4) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «بدء الخلق» باب «إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه» حديث (٣٠٥٩)، ومسلم كتاب «الجهاد والسير» باب «ما =

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: «دَخَلْنَا مع رسول الله ﷺ على أبي سَيْفٍ الْقَيْنِ وكان ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ إبراهيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عليه بَعْدَ ذلك وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رسول الله ﷺ تَذْرِفَانِ، فقال له عبدُ الرحمن بنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يا رَسُولَ الله؟! فقال: يا بن عَوْفٍ! إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فقال ﷺ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، ولا نَقُولُ إلا ما يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[1].

تعاون النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ مع أصحابه ﷺ يختار أشق الأعمال ويقوم بها، فعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلاةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلا يَأْنَفُ، وَلا يَسْتَكْثِرُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ حَاجَتَهُ»[2]. وقال ﷺ: «مَن اسْتطاع منكم أَنْ يَنْفَعَ أَخاه فَلْيَنْفَعْه»[3].

لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين» حديث (١٧٩٥).

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «الجنائز» باب «قول النبي ﷺ: إنا بك لمحزونون» حديث (١٢٤١)، ومسلم كتاب «الفضائل» باب «رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك» حديث (٢٣١٥).

(2) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٣٣٤) حديث (٦٤٢٤)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣/ ٢٦٨) برقم (٥٨٣٣).

(3) أخرجه مسلم كتاب «السلام» باب «استحباب الرقية من العين والنملة والحمه والنظرة» حديث (٢١٩٩).

خاتمة

مما سبق في هذا الفصل نجد أن حسن الخلق كان من شيم رسول الله ﷺ كما قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الحديث السابع والعشرين في «**الأربعين النووية**» في باب «**حسن الخلق**»: أي حسن الخلق مع الله، وحسن الخلق مع عباد الله، فأما حسن الخلق مع الله هي أن تتلقي أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وألا يكون في نفسك حرج منها وألا تضيق بها ذرعا، فإذا أمرك الله بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح. أما حسن الخلق مع الناس فقد سبق أنه: كف الأذى، والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه وغيره. على الرغم من حُسن خلقه ﷺ إلا أنه كان يدعو الله بأن يحسِّن أخلاقه ويتعوذ من سوء الأخلاق ﷺ، فعن النبي ﷺ قال: «**البر حسن الخلق...**»[1]. وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «**كان رسولُ الله ﷺ يقول: اللهم أَحْسَنْتَ خَلْقي فَأَحْسِنْ خُلُقي**»[2].

فيا ليت الأمم تدرس هذا المنهج العظيم حتى يرتفعوا بأخلاقهم، وأختم هذا الفصل بما قاله برنارد شو المفكر الإنجليزي في كتابه، محمد وهو الكتاب الذي

---

(1) أخرجه مسلم كتاب «البر والصلة والآداب» باب «تفسير البر والإثم» حديث (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان ﷺ.

(2) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٦٨) حديث (٢٤٤٣٧)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

أحرقته السلطات البريطانية: «إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، فإني قد اطَّلعت على أمر هذا الرجل فوجدته أعجوبة خارقه، وإنه يجب أن يسمى منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم لوفَّق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها»[1].

(1) برنارد شو-كتابه محمد-نقلا عن مجلة التبيان -العدد١٩-ص٣٢ صفر ١٤٢٧.